محاضرة بعنوان:

المواطنة في الفكر الديني اليهودي

Citizenship in Jewish religious thought

المادة : التاريخ القديم
المرحلة : الأولى

إعداد:
م. د. مجيد جاسم محمد أحمد الشعيبي
أستاذ تاريخ الأديان – رئاسة جامعة الأنبار
كلية التربية للبنات

لقد عرف التاريخ القديم في فترة ما قبل الميلاد حضارات عديدة لم تختلف هذه الحضارات في موقفها من المساواة، إذ تشير التركيبة الطبقية التي صيغت في وقتها المجتمعات القديمة إلى أن فكرة المساواة بحقيقتها الإنسانية لم تكن معروفة ولا متداولة في تشريعاتهم ولا في نظمهم. وتؤكد الحقائق التاريخية على إن فكرة الاستعلاء الجنسي، التي تُعد المنبت الأساسي للتفريق بين البشر وفرزهم وتصنيفهم إلى طبقات غير متساوية في الحقوق، إنما ارتوت من منابع العديد من الديانات الوضعية أمثال: "البرهمية – البوذية – الكنفوشيسية – الزرادشتية" لتعمق نزعة الاستعلاء وتعميق التركيبة الطبقية وتقر بفكرها وممارساتها بأن البشر غير متساوين.

وإذا كانت هذه الدراسة تسعى إلى إبراز "مفهوم المواطنة" الذي تُعد المساواة إحدى أهم ركائزه، فإن الإيمائة التاريخية العاجلة لأهم العوامل والقوى المؤثرة في تشكيل المساواة معنى المساواة يؤكد على أن بعض العقائد السماوية التي نالها التحريف على يد حفنة من معتنقيها قد كانت سبباً في فكرة التمييز والتفريق والاستعلاء. فمن المعلوم أن تاريخ الديانة اليهودية قد استند على بعض المفاهيم والأفكار الدينية، التي أصبحت ركيزة من ركائز الاعتقاد في التراث الديني عند اليهود؛ الأمر الذي جعل هؤلاء اليهود يعتقدون أن تاريخهم بمجمله إنما يدور حول هذه المفاهيم، وأبرز هذه المفاهيم هي: "فكرة العهد" و "الاختيار" و "أرض الميعاد". ويبدو أن هناك

علاقة ما بين هذه المفاهيم الثلاثة ومفهوم المواطنة موضوع الدراسة، وهذا ما سيتم التعرف عليه فيما يأتي.

إن الناظر إلى المفهوم الأول من هذه المفاهيم وهو "فكرة العهد"،، يجد أن محرري كتاب اليهود المقدس(العهد القديم)، طالما أكدوا على أن جميع العهود التي قطعها الرب مع إبراهيم(عليه السلام) بخصوص وراثة الأرض المقدسة قد اقتصرت على ذريته من زوجته "سارة"، واستثنوا من ذلك ولده "إسماعيل" من زوجته "هاجر"(أنظر: تك١٧:٩-٢١؛ ٢١:٩-١٨)؛ وهذا يعني – أن وراثة الأرض المقدسة سيكون مقتصراً فقط على أسلاف اليهود من نسل إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب؛ بل أنه ومن أجل إعطاء هذه العهود مكانة بارزة في الديانة اليهودية، فقد ربطها هؤلاء المحررون بالعهود السابقة المقطوعة مع آدم ونوح "عليهما السلام" (أنظر تك: ٩:٨ -١٣).

والغرض من ذلك على ما يبدو هو رغبة محرري التوراة بجعل وراثة هذه الأرض مقصورةً على اليهود دون العرب ممن هم من نسل إسماعيل(عليه السلام). وهذه الرغبة تتجلى بصورة واضحة في موضع آخر عندما ذهبوا إلى جعل الذبيح "إسحاق" وليس "إسماعيل": «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ»(تك ٢٢:٢) (دار الكتاب المقدس، ١٩٨١م)؛ هذا بالرغم من أن كلمة "وحيدك" الواردة في النص أعلاه تشير إلى "إسماعيل" وليس إلى "إسحاق" كونه الابن البكر لإبراهيم(عليه السلام) في ذلك الوقت، وأنهم أدخلوا اسم "إسحاق" بداعي التحريف والتبديل.

وهذ يعني أن هؤلاء المحررين كان يحاولون فصل الرابط التاريخي الذي يربط العرب بالعبرانيين من ناحية، ومحاولة جعل النبوة قاصرة فقط على بني إسرائيل دون غيرهم.

ولو أننا انتقلنا إلى "مفهوم الاختيار"، الذي يُعد هو الآخر ركيزة من ركائز الاعتقاد في التراث الديني اليهودي، لوجدنا أن محرري التوراة قد ركزوا رواياتهم حول اختيار الرب للشعب اليهودي وحده دون غيره من شعوب الأرض؛ فبدأوا بتأصيل نسبهم فأرجعوه إلى سام بن نوح(عليه السلام)(أنظر: تك١٠)، بينما في المقابل أرجعوا شعوباً أخرى ذات أصول ساميّة وتتكلم اللغة السامية إلى أصول غير ساميّة كما فعلوا ذلك مع "الكنعانيين" أصحاب أرض كنعان(فلسطين الحالية): " وَكَانَ بَنُو نُوحٍ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنَ الْفُلْكِ سَامًا وَحَامًا وَيَافَثَ. وَحَامٌ هُوَ

أَبُو كَنْعَانَ"(تك٩:١٨)، ولم يكتفوا بذلك بل نسبوا لهم لعنة الخطيئة: "فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجًا. فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، فَقَالَ: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ» (تك٩:٢٢-٢٥).

هذا وقد أرجع أحد الباحثين(عبودي،١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص ٦٦٩) سبب ذلك إلى العداوة الحاصلة بين بني إسرائيل والكنعانيين، لا سيما في الفترة التي شهدت مقاومة شعوب أرض كنعان لمحاولات احتلال بني إسرائيل لأرضهم في عهد يشوع فتى موسى(عليه السلام).

ثم انتقل هؤلاء المحررون بعد ذلك ليجسدوا بدايات تاريخ الجماعة اليهودية مع بداية هجرة إبراهيم(عليه السلام) من أور الكلدانيين في العراق إلى الأرض المقدسة أو "أرض الميعاد"(تك١٢:١)، التي أصبحت هي الأخرى من ركائز الاعتقاد في التراث الديني عند اليهود، ليعلنوا بعد ذلك عن أحقيتهم بتلك الأرض من خلال رواية "الميثاق" الذي قطعه الرب مع إبراهيم(عليه السلام): "فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلاً: لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ. الْقِينِيِّينَ وَالْقَنِزِّيِّينَ وَالْقَدْمُونِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفَرِزِّيِّينَ وَالرَّفَائِيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ» (تك١٥:١٨-٢١).

والناظر إلى تلك النصوص يجد أن تلك الأرض كانت مسكونة من قبل العديد من الشعوب التي استوطنتها قبل مجيء إبراهيم(عليه السلام)، لا سيما "الكنعانيون"، الذين تسمت الأرض باسمهم.

على أية حال، فإن الناظر إلى ما أوردته نصوص التوراة حول طريقة معيشة هؤلاء المهاجرون في هذه الأرض، يجد أنهم عاشوا في أطراف مدنها وبمعزل عن ساكنيها (أنظر على سبيل المثال لا الحصر ما ورد في سفر التكوين (١٢:٦-٩؛ ١٣:١-١٨؛ ١٤:١٣-١٦ وغيرها). وعلى ما يبدو فإن تلك العزلة كانت سبباً في ظهور "فكرة الاختيار"، التي أصبحت من الخصائص التي ميزت اليهود عن بقية الشعوب الأخرى التي عاشوا بين ظهرانيها طيلة تاريخهم.

وهكذا وما أن عقد الرب عهداً مع إبراهيم (عليه السلام) بوراثة تلك الأرض حتى جعل لذلك العهد علامة وهي "الختان"(تك١٧:١-١٤). وقد أعطى الختان للديانة اليهودية بعداً قومياً على اعتبار أنه يمثل علامة أخرى تميز اليهود عن غيرهم من الشعوب الأخرى (אבן שושן، 1979، עמ' 280)، بل ربما "كان سبباً في زعمهم بأنهم شعب الله المختار"(مقار، د. ت، ص ٤٥)؛ فنحن نقرأ في سفر الخروج (١٢:٤٣-٤٤، ٤٨) هذا النص: وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونَ: هذِهِ فَرِيضَةُ الْفِصْحِ: كُلُّ ابْنِ غَرِيبٍ لاَ يَأْكُلُ مِنْهُ. وَلكِنْ كُلُّ عَبْدِ رَجُلٍ مُبْتَاعٍ بِفِضَّةٍ تَخْتِنُهُ ثُمَّ يَأْكُلُ مِنْهُ... وَأَمَّا كُلُّ أَغْلَفَ فَلاَ يَأْكُلُ مِنْهُ ".

وهذا يعني أن التوراة قد حرمت الغُلف(غير المختونين) من أكل أضحية عيد الفصح، وهو ما يشير ضمناً إلى أن ذبيحة الفصح إنما ترمز إلى توحد بني إسرائيل وتفردهم بصفة الختان دون غيرهم من الشعوب الأخرى:(لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ(تث١٤:١٢) ؛ هذا على الرغم من أن الدلائل الأثرية تشير إلى استخدام الشعوب القديمة لهذه العادة في فترة سابقة على استخدام العبرانيين لها.

وهكذا وبناءً على ما سبق، نجد أن نصوص العهد القديم أكدت بما لا يدع مجالاً للشك على حقيقتين: أولهما – تميز اليهود عن غيرهم من الشعوب الأخرى؛ وثانيهما– أن الديانة اليهودية التي يعكسها لنا محررو العهد القديم لا تقوم على أساس مفهوم المواطنة، بل على العكس من ذلك فهي تدعو إلى الفصل والتفرقة بين اليهود وبين غيرهم من بني البشر.

محاضرة بعنوان:

مفهوم المواطنة في اللغة والاصطلاح والتاريخ

إعداد:
م. د. مجيد جاسم محمد أحمد الشعيبي
أستاذ تاريخ الأديان – رئاسة جامعة الأنبار
كلية التربية للبنات

أولاً : مفهوم المواطنة في اللغة والاصطلاح:

ورد لفظ "المواطنة" في المعاجم العربية على أنه – مصدر الفعل "واطن" على وزن (فاعل)، والذي يأتي بمعنى "شارك في المكان إقامةً ومولداً ؛ وهو مصدر رباعي مشتق من فعل "وطنَ على الأمر: أضمر أن يفعله معه" كما يدل على المشاركة والمداومة والاستمرار؛ ومن ملفوظات المواطنة أيضاً "وطن يطن وطناً: أقام فيه، ووطن نفسه على الأمر؛ واستوطن البلد: اتخذها وطناً؛ وتوطنت نفسه على كذا: حملت عليه. و "المَواطِن": جمع مفرده "موطِن"؛ و "المواطن" من يقيم معك في الوطن.

وورد مفهوم "المواطنة" في المعاجم العبرية بلفظ " אֶזְרָחוּת" ، والمقصود به "معرفة حقوق وواجبات المواطن في داخل وطنه"؛ بينما ورد مصطلح "אֶזְרָח" ليشير إلى المواطن الذي يحمل جنسية البلد الذي ولد فيه.

أمّا "المواطنة" في الاصطلاح، فهي صفة المواطن التي تحدد حقوقه وواجباته الوطنية. وتتميز المواطنة بنوع خاص من ولاء المواطن لوطنه وخدمته في أوقات السلم والحرب، والتعاون مع المواطنين الآخرين عن طريق العمل المؤسساتي والفردي الرسمي والتطوعي بغية تحقيق الأهداف التي يصبو لها الجميع وتوحّد من أجلها الجهود وتُرسم الخطط وتوضع الموازنات؛ أمّا "الوطنية" فهي تعني "حب الوطن" في إشارة واضحة إلى مشاعر الحب والارتباط بالوطن، وما ينبثق عنها من استجابات عاطفية.